

## الشعر العربي النيجيري ومحاربة الفساد الاجتماعي: شعر عيسى ألبى أبوبكر نموذجاً

د. يعقوب عبد الله

### المقدمة:

تكمن أهمية الشعر في أنه من أشهر فنون أدبية عرفها الإنسان وأكثرها انتشاراً، يعبر عن انفعالاته وعواطفه، ويثير انفعالات السامعين وعواطفهم، ويعمق فيهم التأثير والتوجيه والتهديب، وربما تتحلى أهمية الشعر أكثر بمعرفة مثله الشاعر بين قومه، فهو في الجاهلية من أرقى الطبقات عقلاً وأدقهم شعوراً، بل كان أحياناً أعظم سلطاناً من رئيس القبيلة، يهتدي الناس بنور وحيه ويميلون إلى رأيه في مشاكل الأفضية ومعضلات الأمور، يعقد الصلح ويدعو إلى الحرب، فكلّمته فوق كل كلمة، وقوله أمضى من السيف. والشعراء في الأمم المتقدمة يقومون بما يقوم به الفلاسفة والعلماء في الأمم المختصرة، يرسمون المثل الأعلى ويفتحون أعين الناس لإدراك ما حولهم من شؤون الحياة ونقدها.

هذا ولم يتأخر رواد الشعر النيجيري العربي عن غيرهم من الشعراء في العالم في أداء الرسالة وتوعية القوم ومحاولة التأثير والإفادة والتهديب بما يكفل للناس بالخير والسعادة والتقدم في الحياة بالإرشاد إلى الحق وإصلاح الفساد ومحاربه. وشعر عيسى ألبى أبوبكر نموذج حي لمحاربة الفساد الاجتماعي في المجتمع النيجيري خاصة والعالم عامة لما يتمتع به الشاعر من حس مرهف وذكاء حاد، ولما يؤمن به من مسئولية عظمى نحو فنه الشعري؛ أداء الرسالة والتوجيه نحو الفضائل والمثل الأعلى والتفكير عن الرذائل والفوضى والهمجية. والوقوف على أشعاره في محاربة الفساد الاجتماعي يكفي شهادة لما يثبته الباحث.

وبناء على هذا تحكم هذه المقالة محاور محددة فيما يلي:

#### ١- وظيفة الأدب

ب- ظاهرة الفساد الاجتماعي في الشعر العربي النيجيري

ج - شعر عيسى ألي ومحاربة الفساد الاجتماعي، ثم تأتي الخاتمة.

#### أ- وظيفة الأدب:

إن الحديث عن محاربة الفساد في الشعر يقودنا أولاً إلى الوقوف عند تحديد موقف النقاد من وظيفة الأدب عامة والشعر خاصة. فالأدب فن إنساني رفيع، وليس يوماً ضرباً من ضروب التسلية أو اللهو يلجأ إليه بعض الناس لقتل وقت الفراغ، بل لهذا الفن رسالة في خدمة الجماعة وإرشاد الناس إلى المثل الشريفة وفي توجيه الإنسانية إلى الحق والخير والفضيلة.<sup>١</sup> ويحدد الناقد أحمد الشايب وظيفة الأدب في التهذيب، إذ يقول:

فالتهديب الإنساني يعد الغاية الأخيرة التي تنتهي عندها جهود

الأدباء، وإذا كان الأدب يصور العقل والشعور من ناحية

الأديب المنشئ فإنه لدى القارئ ينتج إلى عقله بالثقافة

والإفادة، وإلى عواطفه بالتأثير، فيبعثها قوية صادقة سامية،

تحرك الحياة والأحياء إلى أسمى غايات المجد والكمال.<sup>٢</sup>

ويذهب توفيق الحكيم إلى أن من وظيفة الأدب أن يؤثر في النفس والفكر، وأن يعم الفن الأدبي في تصويره جميع جوانب الحياة الإنسانية، فيصور الرذيلة كما يصور الفضيلة ويبرز الشر كما يبرز الخير، فحرية التصوير هذه مفروضة ومطلوبة، وأنه لا حرج ولا مشكلة في حرية التصوير، وإنما الحرج في الإحساس الأخير الذي يستقر في نفوس قراء هذا الأدب، فإذا طالعت أثراً فنياً قصيدة أو قصة أو صورة وشعرت بعدئذ أنها حركت

مشاعرك العليا أو تفكيرك السامي فأنت أمام فن رفيع، وإذا لم تحرك إلا المبتذل من مشاعرك والتافه من تفكيرك فأنت أمام فن رخيص<sup>٣</sup>.  
 ويعد من وظيفة الأدب التصدي لمحاربة الفساد الاجتماعي بأنواعه بتبشيع رواده وكشف الآثار السلبية الناتجة منهم، وإذكاء المشاعر والعواطف نحو الفضيلة والخير ما يكفل للإنسانية السعادة والعزة والكرامة، يقول بدوي طبانه:

من الخطر كل الخطر أن يحس الأديب الموهوب بالظلم أو الاضطهاد  
 أو يرى الغي والفساد أو يرى صوت الباطل يعلو صوت الحق ثم  
 يعمي عينيه ويصم أذنيه ويحس لسانه ويكتم أنفاسه ويحطم قلمه، لأنه  
 إذا فعل ذلك أو لاذ بالصمت وآثر السلامة أو صانع الطغاة فهو  
 الشيطان الأخرس كما وصفه رسول الله، وليس الإنسان الذي كرمه  
 الله بالعقل وعلمه البيان، وهو عندئذ شريك الطغاة فيما يقومون به<sup>٤</sup>.

وبهذا تظهر ضرورة الفن الأدبي في تطهير المجتمع من الفساد والظلم، وزرع الفضائل والمثل الأعلى فيه، وتوفير السلامة والرفق والتقدم.

#### ب - ظاهرة محاربة الفساد الاجتماعي في الشعر العربي النيجيري :

انطلاقاً من مواقف النقاد السابقة في تحديد وظيفة الأدب وأهميته في قلع الفساد والظلم في المجتمع فقد ساهم رواد الأدب العربي النيجيري وخاصة الشعر منه في محاربة الفساد والظلم والاضطهاد في المستويات الحياتية المختلفة كما سنقف عليها فيما يلي:  
 هذا عبد القادر بن غطاطو طن ليما فحل من الشعراء المجيدين في الدولة الفودية، تولى الوزارة بعد والده في عهد علي بن محمد بلو، ونظم قطعة شعرية يهدي فيها موقفه من الظلم والاضطهاد والفتن التي لاحظها في المملكة الشرقية، والتي تهدد الأمن والاستقرار، حيث قال:











في البترول حيث يعيش المواطنون في البؤس والفقر والخوف؟ وما البترول لدينا إلا فتنة وداء عضال، أورط المواطنين في الشكوى واليأس:

أزمة البترول قد حارت قوانا \*\* كيف نصلي بالأسى الحرب العوانا  
نعمة البترول قد بدّلتها \*\* نقمة قومي فلاقينا الهوانا  
إننا نشقى وفي حناتنا \*\* كل ما يسعد أو يرضي العيانا  
أي خط حفظنا هذا الذي \*\* يجلب النحس ولا يعطي الأمانا  
أحرقوا أنفسهم في ناره \*\* يتلظون شظايا لا دخانا  
خبراء النفط أنتم عندنا \*\* فتنة ترهب أو داء عنانا  
أسعد البترول قوما بالهنا \*\* وبه يا قومنا نشكو الطعاننا<sup>١</sup>

لا شك أن الشاعر في هذه القصيدة يعبر عن حزن الشعب النيجيري ويحس بشعورهم نحو أزمة البترول، وينقل إلينا هذا الحزن والشعور والعواطف بالحرارة والأمانة منكرا ومحاربا الفساد الصادر من رؤساء البلد في شأن البترول، وقد ألهب قوله مشاعر القراء وانفعالاتهم بالتأثير واليقظة ما يبعث فيهم الإنكار والوعي.

وفي قصيدة "كذبة إبريل" أعلن الشاعر الحرب والإنكار على عادة سيئة، وهي تحليل الكذب والافتراء في أول شهر إبريل، العادة غير الإسلامية، وقد اعتبر هذه العادة مما درب الناس على الكذب، حيث لم يقتصر الكذب على الشهر وحده، بل استغرق جميع أشهر السنة وأيامها، فتجد الحكام يخلفون الوعود ويزينون أقوالهم بالكاذب، حتى صار الكذب تراث البلد يثوارته الأجيال. ومن آفات الكذب هدم الشرف والخير، وزرع الشر والعداوة، وهو من الأخلاق السيئة التي يعذب الله متصف بها يوم القيامة. وفي البيت الأخ. يخاطب القارئ بأن يكون محاربا للكذب وأهله ومصرخا بقولا "لا" أمام الكذب. . . يكون من المؤيدين له العاملين به:

ابستدعوا كذبة إيريل \*\* وميزوها بالأباطيل  
 أشهرنا كاذبة دونغا \*\* منازع في العرض والطول  
 يخلف فينا حاكم وعده \*\* ثم يمنينا بتأميل  
 تراثنا الكذب بأفاته \*\* ينقله جيل إلى جيل  
 فقد حرب الأسرة ألقاهم \*\* وقتلها شر تقتيل  
 من بثه كي يحتمي تحته \*\* بكيده يرمى بسجيل  
 فحرر الناس (بلا) إنغا \*\* أحسن من (نعم) بلا فول<sup>١٢</sup>

فالبيتان الأخيران يوحيان إسلامية أفكار الشاعر وتصوره، يلمح ذلك في الإنكار والمهاجمة على هذا الخلق السيئ، الذي تتولد منه الرذائل والسيئات، وفي ربطه جريمة الكذب بالتعذيب والتكيد من الله تعالى بالسجيل، وفي ترغيب الناس في العمل على التعليم الإسلامي الذي يدعو الناس جميعاً إلى الإنكار والتغيير تجاه كل منكر وسيئة في المجتمع بقدر المستطاع.

ومما يمثل اتجاه الشاعر في محاربة الفساد الاجتماعي قصيدته في الشذوذ الجنسي، ويعنى بالشذوذ الجنسي عقد الزواج بين رجلين أو امرأتين، أو اللواط والسحاق، ففضح الشاعر الجريمة وعدها في ذروة الفساد الخلقي والتأخر والوصمة وصل إليها الإنسان، ويصير بارتكابها حيواناً بلا عقل، جريمة وفضيحة تنقطع لها القلوب وتذوب وتغضب الرحمن وتوجب عذابه:

هذا الشذوذ يحقر الإنسان \*\*\* وبه تحوّل عاقل حيوانا  
 وتكاد تنفطر القلوب تقزّزا \*\*\* من ذكره ويأسف الرحمانا<sup>١٣</sup>

ولا يتردد إلى هذا الفعل الخبيث إلا من استهواه الشيطان واستحوذ عليه، وخلع لباس الحياء والتكريم الذي يتزين به الإنسان ويحميه عن كل منقصة ودنبة، ولا يتجرأ على مخالفة أمر الله وهدايته إلا من تقمص الوقاحة وترك الحياء:

إن الخلاعة لا يغير طريقها \*\* إلا الذي قد حكّم الشيطان  
يبقى حياء المرء درعا واقيا \*\* بحمي الكريم وينعم الوجدان  
ما زل عن سنن الهداية غير من \*\* ترك الحياء وخالف الأديان  
ولا تقتصر المصائب والجرائم المنتجة من عملية اللواط والسحاق على المرتكب وحده بل تتعدى وتنتشر فتعم الآفاق والبلدان كحبة خبيثة يسري سمها في الأجسام:

شؤمى اللواط والسحاق كبيرة \*\* صلّ يلوّث سمه بلدانا  
أما عاقبة هذا الفعل الخبيث فندامة وخسارة، يستوجب فاعله عذاب الله ويحرم رحمته ورضوانه، كما حققت نقمة الله وغضبه على قوم لوط في هذه الدنيا بمطر السوء:  
عقبي الشذوذ ندامة وخسارة \*\* يدي العذاب ويبعد الرضوانا  
وهذا فقد انطلق الشاعر في محاربة هذا الفساد الخلقي من خلال الحس الإسلامي والتصور الإسلامي حيث قرن خبث الفعل بغضب الرحمن وعذابه، وأن الخبث والشذوذ بجانب للهداية الربانية والأديان السماوية، بل يجافي الجيلة الإنسانية المتصفة بالتكريم والتفضيل.

ويعتبر قضية تناول الخمر فسادا آخرًا منتشرًا في المجتمع النيجيري وخاصة بين الشبان، فقاومها الشاعر وحاربها في عدة قصائد من عيون قصائده، منها قصيدة "تحرّم الخمر"، وهو بذلك يضم صوته إلى أصوات علماء البلد في إعلان الحرب على شاربه وتفضيحه وإعلامه بالمخازي والأمراض اللاحقة به، فيقول: إن شرب الخمر حرام في

...م، فلا تأتيه يا شاب، لأنه يسرق عقلك وتصير بتناوله غيباً مشنوماً، ويسيمك الخزي  
لنعطيل والهلاك:

عملية قام بها علماء شمال \*\* نيجيريا فهل كانت موفقه؟  
شرب الخمر لدى الإسلام محروم \*\* وعند كل كريم الأصل معلوم  
ياشارب الخمر ألق القدح في حجل \*\* فأنت في الأيام مكلوم  
إذا تعاطيتها من بعدما منعوا \*\* أحباها شربها فليأت تأثيم  
ماذا يغرك فيها آيها الوغد \*\* لأنت في نظر الأخلاق مشنوم  
شدت عقولك عند الشرب آسفة \*\* وناب عنها غي القوم ترنيم  
والخمر رجس وعصيان ومنقصة \*\* وكل شر أخي في الخمر مكتوم<sup>١</sup>  
وقد شكر الشاعر مساعي العلماء الذين حملوا على عاتقهم عبء محاربة هذا الفساد  
بكل ما لديهم من النفوذ والقوة مشاركا لهم في أداء المهمة بالإنكار والمجران والعدوان  
نحو متعاطيه:

حيا الإله الذي قد جاء مبتدرا \*\* وقال للقوم "قد ساد الخنا قوموا"  
واعملوا العنف والتشديد إن لكم \*\* مهابة زانها في الناس تعظيم  
ولا تحيوا سكورا إن دعا أبدا \*\* إلى وليمته والخير تحريم  
ولا مصافحة الأحباب بينكم \*\* عند اللقاء ورأس العيب تكليم  
ولا تصلوا على السكران بينكم \*\* إن مات فهو لدى الرحمن محروم  
وحقوق المرأة المسلمة قضية أخرى، أولاها الشاعر عناية واهتماما حين منعت  
الحكومة الفرنسية المرأة المسلمة من لبس الحجاب، ذلك الحصن الذي فرض عليها الإسلام  
لصون عزها وشرفها، وسد به عنها أبواب الخزي والفضيحة، فقرض قصيدة "نزعوا  
الحجاب" مدافعا عنها، ومحارب ذلك القرار، مستهلا القصيدة بصيغة التعجب عما

أصدرتها الحكومة الفرنسية من القرار بمنع الحجاب، يقول: لماذا يمنعون المرأة المسلمة من الحجاب وما منعوا المرأة من المحون والفساد؟ أليس لبس المرأة المسلمة الحجاب خير وأفضل من خلع غوانهم الثياب؟

ومن ثم وقف الشاعر مدافعا عن حق المرأة المسلمة في الحجاب واثرا على الحكومة الفرنسية علما منه بأن هذا القرار مكيدة لتدنيس عرض المرأة المسلمة وشرفها وتحويلها العوبة بأيدي المفسدين، وكلما فسدت المرأة وهي مدرسة ومربية فسدت الأمة. وهنا تظهر خطورة القرار وخسارة المجتمع اللتين تكفيان سرا في تعجب الشاعر واستهلال القصيدة بصيغة التضاد والمقابلة، لكشف الغلاف عن التباين في المعنيين المتضادين، وإبراز الخطأ والتزييف في إحداهما، والصواب في الآخر بقوته:

سمعنا أنهم نزعوا الحجاب \*\* وما نزعوا الخلاعة والمعابا

وتلبسه الحرائر للتحلي \*\* كما خلعت غوانهم ثيابا<sup>١٥</sup>

وأين وجه تبرير الخوف والاضطراب من شرع الله الموضوع لحفظ الشرف والأمن وإبقاء السلامة والعافية في المجتمع؟

لماذا هاجس الإسلام يبقى \*\* حديث القوم خوفا واضطرابا

ويخطئ الشاعر عقلية الحكومة الفرنسية وتفكيرهم مفندا ومحاربا موقفهم في منع الحجاب بأن تعاليم المسيح الذي يزعمون اتباعها مفضلات وما منعت لبس الحجاب، فأن لهم هذا القرار؟ ويرى طرحهم دين المسيح وراء ظهورهم وإبداله بالعقيدة العلمانية ما جرهم إلى الخطأ والضلال، وأن المسيح بريء من العلمانية المزعومة:

تعاليم المسيح مفضلات \*\* وما منعت — وقد علموا — الحجابا  
وعلمانية قد صيروها \*\* سبيلهم تحجبهم صوابا  
أقبلها المسيح وكان عبدا \*\* إلهيا إذا اختار الإيوبا  
علوم الغرب قد صنعت عجيبا \*\* ودين الغرب لا يرضي الصحابا<sup>١٦</sup>

## الخلاصة:

توصل الباحث إلى القول بأن رواد الشعر العربي النيجيري لم يشدوا عن شركائهم في العالم نحو توظيف الفن الشعري لصالح البشرية وبناء العمران، ويبقى شعر عيسى ألي أوبكر نموذجاً حياً في التهذيب والتأثير والتوجيه عبر القنوات الحياتية بما في ذلك محاربة الفساد الاجتماعي والوقوف ضد الظلم والاضطهاد، إذ أناط الشاعر على عاتقه دعوة أصحاب الملكية الفنية والشعراء خصوصاً إلى تشجيع شعرهم في محاربة الفساد وأداء مهمة التوجيه والإفادة، وهو فرسان هذا المجال وزعيم المصلحين الفنانين بما تناول في قصائده من قضايا متعددة، عالمية ومحلية، تتمحور حول محاربة الفساد والظلم، منها قضية أزمة البترول، وكذبة إبريل، وشرب الخمر، والشذوذ الجنسي، ونزع حجاب المرأة المسلمة، متناولاً كلها على أريكة المصلح والناقد البصير، ومنطلقاً فيها من خلال الحس الإسلامي والمفاهيم الإسلامية.